

العراق والعالم العربي بعيون أربع كاتبات غربيّات

لندن / عدنان حسين أحمد



نظم مركز الحوار الأثكولوجي في لندن محاضرة بعنوان "العراق والعالم العربي بعيون أربع كاتبات غربيّات" للباحث نديم العبدالله، وساهم في تقديمه وإدارة الندوة كاتب هذه السطور. قبل اللؤلؤ في تفاصيل هذه المحاضرة لا بد من الإشارة إلى أنّ الأبحاث والدراسات التي يقدمها نديم العبدالله تعتمد دائماً على المنهج العلمي الرصين الذي يهدف إلى ملامسة الحقيقة، أو الاقتراب منها، أو التعرف على بعض جوانبها في الأقل.

قصارى جهدها بغية تنصيب الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق، واعتبرت تنوحيه على عرش العراق نصراً شخصياً لها حيث تحول الحلم إلى حقيقة دامغة بعد أن أزاحت عن طريقها كل المعارضين لتأسيس نظام ملكي في العراق. ومن أبرز إنجازاتها الأخرى هو تأسيس المتحف العراقي، والمكتبة الوطنية.

أصدرت بيل أكثر من ثلاثين كتاباً لكن المحاضر اكتفى بذكر الكتب التي تتعلق بالعراق والشرق الأوسط تحديداً مثل "صور فارسية"، "قصاد من ديوان حافظ"، "قصر وجامع الإخضر"، "عرب بلاد ما بين النهرين"، "مراجعة لإدارة المدينة لبلاد ما بين النهرين"، "ألف كنيسة وكنيسة" و "الصحراء والمعمورة" و "رسائل غيرترود بيل".

ثم توقف المحاضر عند بعض الكتب مثل "قصر وجامع الإخضر" الذي يضمن وصفاً للعمارة الإسلامية المبكرة، وكتاب "عرب بلاد ما بين النهرين" الذي كتبه المس بيل بطلب من الحكومة البريطانية كي يكون دليلًا للضباط العسكريين والموظفين المدنيين في محاولة لخلق حكومة عراقية جديدة عام 1920 بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية. أما الكتاب الثالث فهو "نظرة عامة لإدارة المدينة لميسوبوتاميا" الذي يتمحور على مساعدة الحكومة البريطانية في استعادتها لتأسيس حكومة عراقية جديدة. كما توقف المحاضر عند الأفلام الثلاثة التي أنجزت عن المس بيل وهي "رجل خطير: لورنس خلف الجزيرة العربية" لإخراج كريستوفر مينول، و "ملكة الصحراء" لفيرن هيرتزوج، و "رسائل من بغداد" لزيغا أولياموس وسابين كراينبول. جدير ذكره أن المس بيل كانت تجيد عدة لغات من بينها الفرنسية والألمانية والفارسية والعربية التي ساعدتها سواء في عملها اليومي أو في ترجمة الأشعار الفارسية على وجه التحديد.

أما الكاتبة الثانية فهي فريا ستارك التي كتبت "عرب بلاد ما بين النهرين" و "الصحراء والمعمورة" و "رسائل غيرترود بيل". ثم توقف المحاضر عند بعض الكتب مثل "قصر وجامع الإخضر" الذي يضمن وصفاً للعمارة الإسلامية المبكرة، وكتاب "عرب بلاد ما بين النهرين" الذي كتبه المس بيل بطلب من الحكومة البريطانية كي يكون دليلًا للضباط العسكريين والموظفين المدنيين في محاولة لخلق حكومة عراقية جديدة عام 1920 بعد تفكك الإمبراطورية العثمانية. أما الكتاب الثالث فهو "نظرة عامة لإدارة المدينة لميسوبوتاميا" الذي يتمحور على مساعدة الحكومة البريطانية في استعادتها لتأسيس حكومة عراقية جديدة. كما توقف المحاضر عند الأفلام الثلاثة التي أنجزت عن المس بيل وهي "رجل خطير: لورنس خلف الجزيرة العربية" لإخراج كريستوفر مينول، و "ملكة الصحراء" لفيرن هيرتزوج، و "رسائل من بغداد" لزيغا أولياموس وسابين كراينبول. جدير ذكره أن المس بيل كانت تجيد عدة لغات من بينها الفرنسية والألمانية والفارسية والعربية التي ساعدتها سواء في عملها اليومي أو في ترجمة الأشعار الفارسية على وجه التحديد.

وفي هذه المحاضرة يحاول العبدالله تقديم إطار ثقافي يهدف إلى التعريف بالمتجزات الفكرية والثقافية لأربع كاتبات بريطانيات هن غيرترود بيل، فريا ستارك، إيل دراوور، وأغانا كريستي اللواتي كتبن أكثر من 60 كتاباً عن العراق لم يُترجم منها إلا القليل النادر. وقد دعا المحاضر ليس إلى ترجمتها حسب، بل إلى دراستها، وتحليلها، ونيل الشهادات العليا فيها لما تنطوي عليه من معلومات مهمة في السياسة، والأدب، وعلم الاجتماع وما إلى ذلك.

استهل العبدالله محاضرتَه بالحديث عن المس غيرترود بيل (1818-1926) وأشار إلى أنها كاتبة بريطانية، وأثروبولوجية، ورحالة، ودبلوماسية عرفت بانهاكها في خلق العراق ككيانٍ سياسي جديد عام 1920. سافرت إلى بلدان عديدة في الشرق الأوسط وخاصة العراق، إيران، فلسطين، سوريا، لبنان والجزيرة العربية. عملت مع العديد من الضباط والمستشارين البريطانيين في العراق مثل بيرسي كوكس، توماس إدوارد لورنس وغيرهم، وقد بذلت

وطريقة حياة هذه الأمة. توقف الباحث نديم العبدالله عند الكاتبة الإنكليزية الرابعة وهي أغانا كريستي (1890-1976) التي تعتبر أعظم مؤلفة رواية جريمة في التاريخ حيث بيعت أكثر من مليار نسخة من رواياتها التي تُرجمت لأكثر من 103 لغات من بينها اللغة العربية. تزوجت كريستي عام 1920 من عالم الآثار المعروف ماكس مالوان بعد أن التقت به في إحدى سفراتها إلى الشرق حيث عاشت معه في سوريا والعراق عندما كان يقوم بأبحاثه هناك.

أصدرت كريستي 66 رواية بوليسية و 14 مجموعة قصصية. وقد انعكس ولعها بالآثار فكتبت عدة روايات من بينها "جريمة في بلاد الرافدين"، "لقاء في بغداد"، "جريمة في قطار الشرق السريع"، "موعد مع الموت"، و "تعال وقل لي كيف تعيش". وأشار العبدالله إلى أن "جريمة قتل في بلاد الرافدين" تركز على مقتل زوجة أحد الإركولوجيين الغربيين، وقد ترجمها إلى العربية محمد عبد المنعم جلال، فيما تدور رواية "لقاء في بغداد" حول قمة سرية عقدت في بغداد حيث ترسل القوات الغربية ممثلها إلى هناك كي يهيمن على مسارات اللعبة السياسية. أما الرواية الثالثة فهي "جريمة في قطار الشرق السريع" فهي تتمحور على مقتل مسافر في قطار الشرق السريع من إسطنبول إلى لندن. تركز الرواية على شخصيات المسافرين، وثقافتهم، ومعتقداتهم، وطرق حياتهم. ومن بين الكتب التي أشار إليها الباحث هو كتاب "تعال وقل لي كيف تعيش" الذي يؤت فيه مذكراتها في سوريا والعراق وقد ترجمه إلى العربية أكرم المحمصي.

عوداً على بدء، نوه الباحث نديم العبدالله على ضرورة دراسة هذه الكتب، وتحليل مواءمها الثقافية والفكرية والاجتماعية وترجمتها إلى العربية كي يُحيط القراء علماً بكل التفاصيل الصغيرة والكبيرة التي حدثت في العراق منذ الحرب العالمية الأولى وما أسفرت عنه من تفكيك الإمبراطورية العثمانية وولادة العراق الحديث بنظامه الملكي الذي يتطوّر على قدر معقول من الديمقراطية، والحرية والعمامة والتبادل العنصرى للمسلطة ثم مجيء الأنظمة العسكرية التي أجهزت على الدولة المدنية وجعلتها أضرًا بعد عين. وعلى الرغم من القمع الذي عاشه العراقيون على مدى أربعة عقود أو يزيد عاد التحالف الغربي بقيادةه الإنكليز -أميركية ليعيد الأمور إلى نصابها الديمقراطي الصحيح وإن شابهته أخطاء قاتلة مثل الفساد المهول الذي لم يسبق له مثيل، وتكريس النزعة الطائفية، وعسكرة البلاد وما إلى ذلك من مخاطر جدية قد تضع العراق على كف غرقت إن لم يتم تداركها قبل فوات الأوان.



بينها "رسائل من سوريا" الذي وصفت فيه الحفبة الزمنية التي أمضتها هناك خلال الحرب العالمية الثانية، و "ماوراء الفرات" الذي اشتمل على رحلاتها في الشرق الأوسط، و "الشرق هو الغرب" الذي أوجزت فيه تجاربها خلال الحرب العالمية الثانية حيث سافرت إلى سوريا وفلسطين ومصر والجزيرة العربية والعراق وإيران.

لا تقل شهرة إثيل دراوور (1879-1972) في العراق عن مواظتها المس بيل فقد عرفناها كخبيرة أنثروبولوجية درست الشرق الأوسط وثقافته وتخصصت بالديانة الهندائية وأنجزت عنها كتاباً مهما يحمل عنوان "الصابئة المندائيون" ترجمه إلى العربية نعيم بدوي وغضبان الرومي ويُعتبر هذا الكتاب أحد المصادر الرئيسة عن الديانة المندائية. أقامت دراوور في العراق مدة ربع قرن وكتبت عن ثقافته وأديانها. أنجزت دراوور أكثر من ثلاثين كتاباً من بينها "حكايات شعبية عراقية" و "مندايو العراق وإيران" و "طاووس ملك" و "القاموس المندائي" بالاشتراك مع الخبير السلوفاكي رودولف ماسوخ. كما كتبت عن سوريا ولبنان والسودان وتونس ويكفي أن نشير هنا إلى كتابها الجنوبية للإمبراطورية الرومانية عام 200 ق.م. أصدرت فريا 25 كتاباً من

التي لم تكن إنكليزية خالصة، فأما فلورا إيطالية من أصول بولندية-ألمانية. تلقت فريا كتاب "ألف ليلة وليلة" كهدية في عيد ميلادها التاسع فأشعل ولعها بالشرق، وساعدها في ذلك إتقانها للغات العربية والفارسية والتركية إضافة إلى اللغات الأوروبية كالفرنسية والإيطالية والإنكليزية. درست فريا في جامعة "سوس" بلندن، ثم أمضت 30 عاماً "مسافرة ومقيمة" في عدد من الأقطار العربية والشرق أوسطية كما زارت اليمن والجزيرة العربية ومصر والهند وتركيا وأفغانستان. عُينت من قبل وزارة الإعلام البريطانية كخبيرة في الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية. أشار المحاضر إلى ثلاثة من كتبها التي تتعلق بالعراق وهي "سكتشات بغداد"، "رحلة إلى دجلة" و "روما على ضفة الفرات". وقد تضمن "سكتشات بغداد" وصفاً للتركيبة الثقافية والمدينة للعراق، فيما صورت فريا في كتابها الثاني رحلاتها إلى دجلة على ظهر جواد بين "الجزرة" في جنوب شرق تركيا إلى نهر دجلة في العراق عبر جبل هكاري. أما في كتابها الثالث "روما على ضفاف الفرات" فقد صورت فيه جزءاً من العراق الذي يشير إلى الحافات الجنوبية للإمبراطورية الرومانية عام 200 ق.م. أصدرت فريا 25 كتاباً من

ثقافة الحرب الناعمة في الملتقى الفلسفي

لينتج ألياته الدفاعية بينما المنقّف يعيش فوضى فهو يعيد إنتاج أنساق الآخر.. ودعا إلى إعادة ترتيب أولوياتنا لمساءلة أنساقنا، أن نمارس الثقافة، وأن نفكر في داخل المجتمع لا منفصلين عنه وأن نعيد تحديد هويتنا وخلق فضاء موحد لأن واقنا يحتاجنا. وي طرح سؤالاً يقول إنه يلج عليه: لماذا لا نقرأ الحرب مرة أخرى، عبر فلسفة القوة لنبتشها، وبالمقابل نقرأ فكرة الهيمنة لفوكو، فكيف يمكن

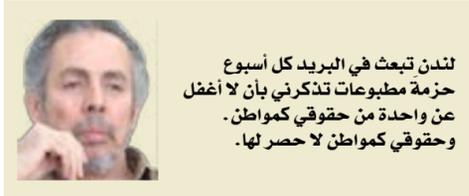


للقوة أن تؤدي للهيمنة؟ ويضي بقوله.. إن مفهوم القوة فلسفياً يتعلق بإمكان من خلال مفهومي القوة والفعل، أي ما يوجد بالفعل هو ممكن بالقوة قبل الفعل ولكي تنشأ الفعل عليك البحث في الممكنات الداخلية، وقوله تعالى واعود اليهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل يمكن لها ان تعني فيما تعني للحصول على القوة ليس المتداول من تجهيز مستلزمات القوة المادية، بل بالدرجة الأساس في الوقت الراهن هو البحث عن إمكاناتنا، اي أعد إمكاناتك.. ويضيف فهو ما آخر هو القدرة ويقول لدينا إمكاناتنا ولكننا ليس كلنا نستطيع ان نحول هذه المكنات الى قدرات، فنخلص الى نتيجة مهمة وهي، كلنا لدينا إمكانات متساوية ولكننا لسنا متساوين في القدرات.

هذه القوة من جوانبها الثقافية وكيف سيدج المنقّف نفسه أمام مفاهيم جديدة تطرح كوسيلة من وسائل الحرب الجديد. المحاضر الدكتور أحمد حسون قال إن واحدة من الأخطاء التي نتعامل معها أن الكثير من الأفكار تتعالى ونخرجها من إطار التاريخ وتصبح أفكاراً ثابتة تتحكم بطرق تفكيرنا. وي طرح سؤالاً: لماذا نتبع هذه الأفكار ولا نجعلها قابلة للنقد؟ ويجيب: علينا أن نداول غير المفكر فيه من الأفكار، هنالك هاجسا باننا نعيش هامس اضطراب، فالعالم يعيش مرحلة اضطراب وخاصة في واقع بلدنا، ولذا علينا أن نحدد هويتنا من خلال المجتمع، لان المجتمع يسبق المنقّف في تحديد الموقف الواجب اتخاذه فواجه الارهاب واثبت قدرته العالية على الحفاظ على الوجود المجتمع العراقي الذي تحرك

في ذكرى وفاته

في مقدمة أدونيس . السياب ليس جديداً دائماً



لندن تبعث في البريد كل أسبوع حزمة مطبوعات تذكركني بأن لا أضل عن واحدة من حقوقي كمواطن. وحقوقي كمواطن لا حصر لها.

في الحياة، وبذلك يتأصل السياب الجديد والتحديث. يُشير أدونيس في مقدمته لهذا الكتاب خلاصات غير مسبوقه، من بينها، شعر وحياة السياب بين الهدم والبناء (القصيدة عند السياب لقاء بين شكل يتهدم وشكل ينهض. في هذه القصيدة / اللقاء يجد رمزاً لحياته وشعره معاً وهو يعكس هذا الرمز بنبرة حكيم مشرقى، والحياة نفسها عند السياب قصيدة: لقاء بين شكل يتهدم وشكل ينهض. إنها انبثاق أشكال لأنها انهدام أشكال، وهي كالقصيدة، شكل، وليس الشكل تمثيلاً نقلياً أو وصفاً. إنه فضاء خارجي يحتوي فضاءً داخلياً. وهو فيما يحتويه، يوحى بأبعاده). وبذلك يكون مثل هذا التوصل كشفاً حياتياً شعرياً يجعل من السياب وحياته قصيدة، والقصيدة هنا حضوراً ثم لا يفلح غبار الإندثار. (لأن السياب من شهودنا الأول على الحضور: ولادة محتوي جديد، وولادة تعبير جديد. من دلائل هذه الشهادة رفض الفصل بين التعبير والحياء، الشكل والمحتوى: ليس الشكل وعاء المحتوى أو رداءه وإنما هو حياة تتحرك أو تتغير في عالم يتحرك أو يتغير، فعمل للشكل هو، كذلك، عالم تحولات) أن هكذا خلاصة تؤكد من جديد، السياب شاعر حياة، لا شاعراً



السياب من أعمال الفنان فيصل لعبي

هنا ظلت العادة مستمرة في كثير من قصائده. لذلك ليس السياب جديداً دائماً. وصل الى طرف العالم القديم لكنه لم يتجاوز به ظل عالقا به. لم يسكن، فنياً، على الشفير الذي يفصله عما سلف، ويقدف به في هاوية ما يأتي). لقد تراجع أدونيس في هذه الخلاصة عن قوله في الهدم والبناء. وكيف للسياب ان يصل الى شكله الجديد؟ وكأنه منبثق من الهواء... والسياب غير متوار عن الشكل الأول كليا، انه في المرات (الخليبية) اقتراباً وابتعاداً، يُزيد ويقلص في عدد التفعيلات كي يخلق مناخاً إيقاعياً يحاول ان يتعد فيه عن الطقس الموسيقي / الرنيني الثابت وهو محاط بأسواره. وفي خلاصة لاحقة يجيء الاستدراك (وهذا لايعني من جهة ثانية، ان شعر السياب ليس جديداً، انه طليعة الجدة في شعرنا، ريادة: يدم منها ومعها اخذ ينشأ الشعر العربي الجديد وسط تعبيرى جديد. وهو، الآن، من القوة والسيادة بحيث انه يبدو ابداعاً مستمراً).

أدونيس، في مقدمته، ورغم تشوفاته، إلا أنه هو الآخر في تراوحة الهدم والبناء مع تجربة السياب، فبالقدر الذي يرصد فيه قوة البناء، يحاول ان يجلب لها أطراف الهدم، الا انه سريع الزوغان، يردد صدى بويكب يؤكد ان السياب شاعر حياة. بويب.. بويب.. اجراس برج ضاع في قرارة البحر في الجرار والغروب في الشجر وتنضج الجرار اجراساً من المطر بلورها بذوب في انين بويب.. يا بويب ..